1

الفصل الأول

معلم السنوات المبكرة : بعض الخصائص الرئيسة (The specialist early years teacher: some key characteristics)

معلم السنوات المبكرة المتخصص: بعض الخصائص الرئيسة

- لماذا نحتاج إلى المتخصصين؟
- بعض الخصائص الأساسية لمتخصصي السنوات المبكرة.
- تطوير المعلم المتخصص في السنوات الأولى.
- بعض الأسئلة المحتملة في المقابلة.

يستند هذا الكتاب إلى رأي قوي، وهو أنَّ الأطفال الصغار بحاجة إلى معلمو متخصصين. والفصول اللاحقة تحدد بالتفصيل، أن طبيعة السنوات الأولى من العمر تتطلب بالفعل مهنياً متخصصاً. وهذا الفصل يلقي الضوء بإيجاز على بعض الخصائص الأساسية، والتي تعتبر أكثر فاعلية وإلهاماً بصفة مستمرة لسنوات العمر المبكر. وبعض تلك الخصائص يمكن تعلمها أو اكتسابها، ولكن بعضها الآخر يوجد داخل الفرد ذاته. وكان لي شرف العمل مع العاملين في السنوات العمرية المبكرة، وقد أصبحت مقتنعة تماماً بأن بعض الأفراد غير مناسبين للعمل مع الأطفال الصغار، وأن بعضهم الآخر يمكن أن يكون قادراً، إذا تلقى بعض التدريب الإضافي. وأن القصد من هذا الفصل هو مساعدة المعلمين المترقبين للعمل في السنوات المبكرة، وما إذا كان هذا المجال مناسباً لهم أم لا. كما أنها فرصة لتقييم مواطن القوة لديهم. وأن يفكر هؤلاء المرشحون المحتملون ملياً في العمل مع الأطفال من (3-5) سنوات في بعض الخصائص الأساسية، ولا سيما تلك التي لا يتم تعلمها بسهولة.

لماذا نحتاج إلى المتخصصين؟
Why do we need specialists?

في معظم البلدان الأوروبية، يختلف المنهج، وأسلوب التعلم، والتدريس لعمر (3- 6) أو (7) سنوات عن الأطفال الأكبر سناً. ففي إنجلترا - حيث يبدأ معظم الأطفال المرحلة الابتدائية من عمر (4) سنوات- ولعدة سنوات كانت هناك حملة مستمرة للحفاظ على الطابع المميز للتعليم في سنوات العمر المبكر. وفي عام (2000) كان هناك ترحيب بقرارات المرحلة التأسيسية وتوجيهات المنهج (QCA/DfES, 2000[1]) في استعادة المبادئ التربوية الأصيلة. وفي عام (2002) أصبحت المرحلة التأسيسية مرحلة قانونية في حد ذاتها، فالمعلمون العاملون في فصول الحضانة وفصول الاستقبال (reception classes[2]) كانوا مطلوبين فعلياً من قبل الحكومة للعمل بطرائق تختلف اختلافاً جوهرياً عن النهج المتبع في المراحل الأساسية (1،2) (Key Stages 1 and 2)[3]. وقد لوحظ أن المعلمين الذين عملوا فقط مع الأطفال الأكبر سناً، والذين تم نقلهم للعمل في فصول الحضانة، وجدوا أنفسهم في منطقة غير مألوفة لهم. كما أن الاستراتيجيات التي وضعت لأعمار (2 أو 3) سنوات استطاع بعض المعلمون التكيف مع أساليب تعليمها وبعضهم الآخر لم يتمكن من ذلك. وأن أولئك الذين لم تكن لديهم القدرة على التكيف مع " المرحلة التأسيسية" كان وضعهم بائساً للغاية، وقد لخصت باميلا هوب (Pamela Hope) - مفتش سابق في مكتب معايير التعليم(OFSTED)[4] - هذا الوضع بشكل جيد:

ليس من غير المألوف للمعلم الذي عمل دائماً مع أطفال تتراوح أعمارهم بين (8 أو 9) سنوات أن يتقبل بسهولة العمل مع أطفال تتراوح أعمارهم من (4 – 5) سنوات، والعمل جنباً إلى جنب مع معلم غير مدرب، أو عديم الخبرة، ومعلم مساعد غير مؤهل في العمل مع الأطفال الصغار. ولا يمتلكون صبراً، ويستخدمون طرائق تدريس غير مناسبة (Nursery World, 2001, p. 11).

(1) قسم التعليم والمهارات Department for Education and Skills(DfES)

هيئة المؤهلات والمناهج The Qualifications and Curriculum Authority(QCA)

(2) فصول الاستقبال reception classes (RC) فصول الاستقبال للأطفال من أعمار (4) سنوات تقريباً.

وهي الجزء الثاني 'من المرحلة التأسيسية' (Foundation Stage) ' (توافق مرحلة رياض الأطفال في المجتمع العربي)

(3) المرحلة الأساسية الأولى (Key Stage 1)

مصطلح قانوني يشير إلى مدة سنوات الدراسة في المدارس الإنجليزية. وتعرف عادةً بأنها السنة الأولى والثانية عندما تتراوح أعمار الأطفال مابين (5، 7) سنوات. (المرحلة الابتدائية)

المرحلة الأساسية الثانية (Key Stage2)

مصطلح قانوني يشير إلى مدة (4) سنوات دراسية في المدارس الإنجليزية. وتعرف عادة بأنها السنة الثالثة والرابعة. الخامسة. والسادسة عندما تتراوح أعمار الأطفال مابين (7، 11) سنه. ويختلف تطبيق المصطلح في إيرلندا الشمالية

(4) مكتب معايير التعليم the Office for Standards in Education (OFSTED) مكتب معايير التعليم.يقوم بفحص وتقديم الخدمات التي تعنى بالأطفال. والشباب. ويوفر خدمات التعليم والمهارات اللازمة للمتعلمين من جميع الأعمار.

حتى أن المعلمين الأوائل الذين تم إلحاقهم بتعليم الصغار كانوا أقل ثقة بأنفسهم في فصول الحضانة والاستقبال، كما اعترفوا بشعورهم بعدم الارتياح مع " المرحلة التأسيسية" (Foundation Stage)[5] لأنهم لايفهمونها كما كان يحدث في فصولهم. لذلك، فإن المرحلة التأسيسية في إنجلترا تحتاج إلى وسيلة لرفع الوعي بها بالإضافة إلى إمدادها بخبرات متخصصة. وقد تم تمديد المرحلة التأسيسية في ويلز (Wales) لتشمل المرحلة الأساسية الأولى وذلك لإقرارهم بأن احتياجات الأطفال الذين تتراوح أعمارهم من (7-5) سنوات متشابهة جداً.

كما يحتاج الأطفال الصغار إلى كبار لديهم حساسية لاحتياجاتهم وشواغلهم. إنهم بحاجة إلى كبار يمكنهم الجمع بين معارفهم لتنمية الطفل وكيفية تعلم الصغار على نحو أكثر فعالية، مع معرفتهم بمحتوى المنهج (Siraj-Blatchford et al., 2002). وهذا يتضمن :

- التعرف على الاحتياجات الفردية لكل طفل من حيث نوعيتها، وخبراتهم الحياتية، وشخصياتهم، واهتماماتهم، وأنماط تعلمهم.
- التعرف على نهج التعلم، والسياقات الأكثر احتمالاً لتحفيز الطفل، وتعزيز سلوكه الإيجابي.
- تحديد التحديات المناسبة والممكنة لكل متعلم.

ووفقاً لاعتبارات المنهج في المرحلة التأسيسية (QCA/DfES, 2000)، فإن الواقع يؤكد أنها عملية معقدة ولها العديد من الجوانب، بما في ذلك: التخطيط، وتهيئة بيئة التعلم، وتنظيم الوقت، والموارد المادية، والتفاعل، وطرح التساؤلات، والعمل مع وملاحظة الأطفال، وتقييم وتسجيل تقدم الأطفال، وتبادل المعارف المكتسبة مع غيرهم من الممارسين والوالدين (p. 22). وأنه ليس سهلاً تقديم محتوى منهج لجميع المعلمين الذين يعملون مع الأطفال (3، 4، 5) سنوات، فالأمر يتطلب تدريباً متخصصاً لمثل هذا النوع من التعليم.

بعض الخصائص الأساسية لمتخصصي السنوات المبكرة (Some essential characteristics of the early years specialist)

هذا الفصل يسلط الضوء على بعض الخصائص الأساسية والمهارات التي ينبغي تنميتها لدى معلمي السنوات المبكرة إذا أصبحوا مهنيين في هذا المجال. وربما توجد بعض الصفات داخل الشخص ذاته (على الأقل إلى حد ما)، على الرغم من أنه بالإمكان أيضاً تطوير وتعزيز خبراتهم بالتدريب المستمر. على سبيل المثال: عندما يفهم الممارسون كيف وماذا يتعلم

(5) المرحلة التأسيسية (Foundation Stage) مرحلة من مراحل التعليم للأطفال في المرحلة العمرية من (3) سنوات وحتى نهاية فصول الاستقبال غالباً (5) سنوات.

الأطفال من خلال اللعب، فإن ذلك يقلل من مخاوفهم من طبيعة اللعب العشوائية، والتي لا يمكن التنبؤ بها. ولا يمكن اكتساب الخصائص الأخرى إلا من خلال توفير فرص للتطور المهني والخبرة، وهذه الخصائص سيتم التعرض لها لتطويرها في باقي فصول الكتاب، وتتضمن الخصائص الأساسية ما يأتي:

الدفء والتعاطف (Warmth and empathy)

من غير الكافي القول بعبارة مبتذلة أن سنوات العمر المبكر تتطلب متخصصين يحبون الأطفال. وكما سيتضح في الفصل الثاني فإن فريق المتخصصين في السنوات الأولى بحاجة إلى أن يكونوا قادرين على الاستجابة بطريقة ودية تماماً، وبطريقة ذكية لمجموعة واسعة من الزملاء، والآباء، والأمهات، والأطفال من جميع شرائح المجتمع، ويتطلب هذا مستوىً مهنياً رفيعاً من مهارات التواصل، ومن الضروري لهؤلاء المتخصصين أن يكونوا قادرين على اعتماد نهج شامل وموضوعي (ولا سيما مع أولئك الذين يجدون صعوبة في التواصل معهم)، ويكونوا قادرين على رؤية الأفضل لجميع الأطفال والكبار، وينبغي على متخصصي هذه المرحلة المبكرة بناء الشراكة مع الآباء، وخاصة مع هؤلاء الذين ينتمون إلى ثقافات ولغات مختلفة عنهم (QCA/DfES, 2000). وهذا يتطلب القدرة على رؤية العالم من خلال رؤى الآخرين، ووضع مجموعة من الاستراتيجيات لتلبية الاحتياجات المختلفة. ولا يوجد مكان للمعلم الذي يرفض بعض الآباء بحجة أنهم لا يهتمون أو لايراعون أطفالهم. فعلى المتخصص أن يعلم بأن جميع الآباء والأمهات يهتمون بأطفالهم بطرائقهم الخاصة، وعليه أن يسلم بذلك.

العفوية والمرونة (Spontaneity and flexibility)

لا يمكن التنبؤ بالعمل مع الأطفال الصغار، وحتى مع وضع أفضل الخطط، فقد تسير الأمور بشكل منحرف تماماً، ذلك لأن الأطفال الصغار مشغولون دوماً بعالمهم، وغير قادرين على رؤية الأشياء بالطريقة التي يفعلها الكبار دائماً (Holt, 1989). ومن ثم فإن التفاعل مع الخبرات والموارد يمكن أن تكون بطرائق غير متوقعة، وقد اعترفت إحدى كبار المعلمات (من ذوات الخبرة في العمل في المرحلة الأساسية الأولى) وشرحت أسباب كرهها للعمل كمعلمة حضانة، حيث قالت: "إنها الفوضي! لاأستطيع الوقوف والتعامل معهم ! إنها المهنية والاحتراف لمعلم تلك المرحلة الذي يجعل من الفوضى نبراساً له وبهجة وتحدياً. ولكن، إذا كانت السيطرة والقدرة على التنبؤ هما ما يجعلان الشخص يشعر بالراحة، فمن المرجح أنهم سيجدون عملهم في سنوات العمر المبكر مهدداً. فالمحترف قادر على أن يكون مرناً ويتخلى عن الخطط عندما

يدرك عدم فعاليتها في متابعة تقدم الطفل، وأن يكون قادراً على الاستجابة بحماس للأحداث العفوية بتلقائية، حيث بإمكانه تقديم فرصٍ تعليمية أقوى. وبعبارة أخرى، فإن عدم يقينية الأحداث لن يكون مصدر خوف وقلق لنا، فالقدرة على التعامل بالقرارات العفوية يكشف عن مهارات وتأملات وتحليلات عميقة الأثر.

مهارات التأمل والتحليل (Skills of reflection and analysis)

إنَّ سنوات التعليم الأولى ليست متعلقة بقضية الممارسة فقط، أو ما الذي ينبغي القيام به، إلا أنها تخص أيضاً التفكير، كما أنها تحتاج إلى الاستمرارية لفهم تعقيداتها، وهذا يتطلب من المعلمين طرح الأسئلة، وجمع الأدلة، واستخلاص بعض الاستنتاجات الأولية، والتخطيط من أجل التنمية. ويتعين على المعلمين الوصول إلى درجة يكونون فيها قادرين على التفكير وتحليل الممارسات، ولكن، لا يمكن تحقيقها جميعها. وبالنسبة لبعض المعلمين، يحتاج التدريس أن يكون واضحاً وبسيطاً، يكون تحت سيطرتهم. وقد تم حرمان معظم المعلمين الذين تم تدريبهم مؤخراً، لأنهم أعطوا انطباعاً بأن خططهم جامدة أو أنّ استراتيجياتهم صارمة. ويجب أن يكونوا قادرين على شرح وتقديم مبررات قوية لممارساتهم، ولن يكونوا قادرين على القيام بذلك إلا إذا كانوا يمتلكون الحس التأملي لفهم مايمكن أن يكون وراء الآراء المتعارضة.

مبادئ واضحة تعزز ممارساتهم (Clear principles underpinning practice)

إنَّ معلمي السنوات الأولى هم الأكثر فعالية، وهم الذين يتمسكون بالمبادئ الأساسية التي نشؤوا عليها، فهم غير مستعدين للتنازل عن تلك المعتقدات التي يتمسكون بها بقوة، وهذا هو السبب في كسب احترام أولئك الذين هم على اتصال بهم. وقد يكون من المؤكد أنهم متأثرون بشدة بفرص التطوير المهني، والمبادئ التي تلقوها في إعدادهم الأكاديمي، وخاصة الدروس التي تلقوها كقادة. ومع ذلك، فنحن لا نستطيع إغفال السمات الشخصية لمعلمي السنوات الأولى، فهم مدافعون عن قناعاتهم ولديهم الشجاعة في ذلك، كما أنهم متآلفون في العمل مع زملائهم، وعلى استعداد للتعامل مع المؤثرات الخارجية. وكما سيرد في الفصل (3) فإن المتخصصين في السنوات الأولى دعاة فصحاء، وحماة لهذه المرحلة التأسيسية في ظل مناخ قد يكون عدائياً لهم. فهم لا يمكنهم القيام بذلك إذا كانوا خائفين من الوقوف على أرض الواقع. إنهم متحمسون لمهنتهم وممارساتهم. وهم يدافعون بحماس، ويتمسكون بممارساتهم لأنهم يعرفون أنهم يعملون من أجل الأطفال وأسرهم. كما أنه أمر محزن لهم أن تطلب منهم أشياء يعرفون عدم مناسبتها للأطفال الصغار جداً. فالمشاعر الجياشة ليس من السهل دائماً